٢٩٥

بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم السالفة
هو كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه ممن كفر وكذب
رسله شديد العقاب يعني لمن كفر وكذب رسله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه
النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم
بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله
سميع يعني لاقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم عليم بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله كدأب
آل فرعون يعني ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح
وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الاولين والآخرين
فان قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام
الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فذلك
تفسير للاول الفائدة الثانية ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم
ففي الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم
بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا
فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف
الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم
الرؤساء والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد
يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم
ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقوا بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض
العهد فانه من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في
الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل
التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل
بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن لعلهم
يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين
خيانة يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اي فاطرح
اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد
فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب
الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين

معاوية

معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس او برذون
وهو يقول الله اكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء
فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرج الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة ورجل من حمير وعبد الله اكبر وفاء لا غدر
وفيه جاء على دابة او فرس وللعلماء حكم الآية فقال اهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر
ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح
له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد
عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على
الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام
ان ينبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم
في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة قوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ
بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون
يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزون قوله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انه جميع الا
والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم والثاني انها الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاء
مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي
اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم
وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو
باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك
فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول
من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه الترمذي والنسائي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة
واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله
فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تأديب الرجل
فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه الى نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة
تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرج الترمذي مختصرا الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله
عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1